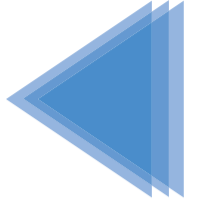


# لبنانية متفائلة في عالم يغص بالشقاء

فاطمة الحاج

تغني الطبيعة باختراعاتها البصرية



فاروق يوسف  
كاتب عراقي

كلما رأيت واحدة من لوحات كلود مونيه التي تصور من خلالها الحقائق المائية شعرت بعظمة الرسم. أوه عملية خلق أم إعادة خلق؟ يترك مونيه متلقيه حائرا. فالرسم اجتهاد بصريا وتقنيا ليكون سيد موقفه. فهو رأى غير أنه في الوقت نفسه أعاد خلق ما رآه. حدث استثنائي في تاريخ الرسم لا يمكن وصفه. ذلك ما سعى رسامون أتوا بعد مونيه إلى أن يتعلموه باعتباره درس فضيلة.

تجربة اللبانية فاطمة الحاج يمكن النظر إليها في ذلك الإطار. كان صعبا عليها أن تخرج من دائرة المتعة التي صنعها مونيه. ولم تغادر وقد اكتشفت الرسم باعتباره "موسيقى داخلية".

لقاء في المنطقة الحرجة

وإذ تعرفت على رسوم اللبانية شفيق عيود الذي سبقها في التعرف على مونيه فإنها صارت على يقين بأنها ستخرج بنتائج شخصية. وهذا ما حدث فعلا. لقد عمل عيود متأثرا بمدرسة باريس على أن يصل إلى نتائج تجريدية خالصة مستفيدا من كثافة السطح لدى مونيه وتعدد طبقاته. أما فاطمة الحاج فقد ظلت محافظة على صلة بالطبيعة تجعلها قريبة دائما من المشاهد التي صورها الرسام الانطباعي متأثرا بحساسيات معلمه البريطاني وليام تورنر.



الكائنات التي تصدر عنها أصوات بعيدة، تلاحقها الحاج، تشم روائحها بحثا عن العطر الفريد الذي يناسبها. ما تفعله الحاج حين ترسم يفسر ظهور صور للبشر على سطوح عدد من لوحاتها

رقيقة وعذبة وشفافة رسوم الحاج غير أنها في الوقت نفسه عميقة وغامضة. هي رسامة مخلصه للطبيعة غير أنها تسعى إلى النظر إلى

الطبيعة باعتبارها مصدرا لممتلكاتها الشخصية. فهي ترسم الطبيعة لتستولي عليها وتطل من خلالها على عالمها الشخصي. لا يكفي الرسم بمتعة هدفا لها بل إنها ترنو بعينيها إلى مناطق تنقل من خلالها دهشة اللقاء بالطبيعة الساحرة إلى عيني المتلقي فيكون التلقي هو الآخر عملية ممتعة. الرسامة والمتلقي يلتقيان عند نقطة يشكل سحر الرسم مركزها. تلتقي الحاج متلقيها في منطقة حرجة تكون الطبيعة فيها مصدر الإلهام بصري داخل الرسم وخارجه. بمعنى أنها تحت المتلقي على التفكير بالطبيعة بطريقة مختلفة.

اللون غابتها

ولدت عام 1953 بالوردانية الشوف. بدأت دراسة الرسم في كلية الفنون الجميلة ببيروت، ثم أكملتها في لينينغراد وحازت عام 1985 على جائزة بيكاسو بمدريد وكانت قد انتقلت إلى باريس.

تقول "لم أخطئ يوما لدراستي. كنت أهوى العلوم الطبيعية واعتقدت أنني ذاهبة نحو الطب ولكن الإمكانيات المادية المتواضعة لأهلي حدثت من طموحي في هذا الاتجاه". ذلك اعتراف يستكون له قيمته على مستوى الكشف عن أسباب نزعة الفنانة الطبيعية. وفي ذلك يمكن القول إن الحاج تقف قريبا من المزاج الفرنسي في الرسم فما الذي تعلمته من مرحلة دراستها السوفيتية؟ لقد تعلمت الحرفة والانضباط وهما ما لم تتمكن من تعلمهما أثناء دراستها في لبنان في ظل الفوضى التي مهدت للحرب اللبنانية. ومنذ أن تعرفت الحاج على الحياة في مرسى خاص بها وقد حدث ذلك في وقت مبكر من دراستها عرفت بغزارة إنتاجها وهو ما يسر لها إقامة معارض كثيرة في مدن عربية وعالمية ربما كانت أهمها تلك المعارض التي أقامتها في صالة كلود ليومان بباريس.

تنتمي الرسامة إلى القلعة المرحمة المتفائلة التي يشكل وجودها كسرا للكاتب التي يعانني منها الرسم في العالم العربي بسبب سوء فهم وقع فيه الرسامون حين ظنوا أن المرح يسبب إلى موفهم من الحياة ويقدمهم بطريقة لا تليق بهم. في النظر إلى رسوم الحاج هناك الكثير من الشعور بأن الحياة جميلة وممتعة وقابلة للتجدد. تعبر الفنانة عن

من خلال أحد معارضها وهو "موسيقى داخلية".

"هل ترى بسبب ذلك المزاج شيئا مختلفا؟" ذلك ما يحدث غالبا بسبب اختلاف المعاني. فالمرأة لا تمر بالطبيعة بطريقة سطحية. إنها تنصت إلى أصواتها كما لو أنها تلاحق الكائنات التي تصدر عنها تلك الأصوات وهي تشم روائحها بحثا عن العطر الفريد الذي يناسبها. ما تفعله الحاج حين ترسم هو شيء من ذلك القبيل. وهو ما يفسر ظهور صور للبشر على سطوح عدد من لوحاتها. وليس صحيحا القول إن تلك الصور إنما تشير إلى تحول الرسامة عن الطبيعة. إنهم نتاج صلة عميقة عبرت عنها الرسامة ذات مرة

من خلالها على عالمها الشخصي ترسمها لتستولي عليها وتطل من خلالها على عالمها الشخصي ترسمها لتستولي عليها وتطل من خلالها على عالمها الشخصي ترسمها لتستولي عليها وتطل من خلالها على عالمها الشخصي



أجابت الحاج على سؤال يتعلق بروح التفاؤل التي تسود لوحاتها في عالم يغص بالآلم والشقاء والقسوة بسبب ما يعيشه من حروب. ولكنها في الوقت نفسه لخصت تفاصيل علاقتها بالطبيعة وهي التي تحن إلى حقائق المسن التي تغادرها كما حدث لها مع باريس.

الفنانة هنا تكشف عن أن الطبيعة لم تشكل بالنسبة لها مصدرا لإلهام بصري فحسب بل هي أيضا مصدر علاج روحي. وهي حين تنقل تجربتها الشخصية إلى المتلقي إنما ترغب في أن يتعلم منها طرقا في النفاذ إلى الطبيعة لتكون سندا له من أجل أن يكون إيجابيا في التعامل مع تحولات الحياة.

الحاج رسامة مخلصه للطبيعة، غير أنها تسعى إلى النظر إلى الطبيعة باعتبارها مصدرا لممتلكاتها الشخصية. فهي ترسمها لتستولي عليها وتطل من خلالها على عالمها الشخصي

تضيف الفنانة "تظهر لوحاتي وكأنني أعيش في عالم ملؤه السعادة. ولكن الحقيقة أن ارتقاؤني مع الطبيعة جعلني أرى الأمور في حجمها الطبيعي. وفي بعض الأحيان أرى كم هي صغيرة مقارنة مع ما حولها من طاقات إيجابية". في كل لوحة من لوحاتها تفتح الحاج حداثتها للباشرين والمعذبين والعشاق المهجورين لكي يتعلموا الدرس الخالد من الطبيعة. التفاؤل الذي يحمله التجدد معه لكي تستمر الحياة.

